مهمّة المعلِّم المتوقَّعة في العملية التَّعليمية القائمة على تكنلوجيا التّعليم

د/ أحمد طيبي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة سعيدة/ الجزائر

ملخّص :

لقدْ أصبح من الصّعب بلْ من المستحيل اليوم الانطواء على النّفس وعدم المبالات بما يحدثُ في العالم من التّطورات السّريعة المتلاحقة في عصر عُرف بعصر (اقتصاد المعرفة : KnowledgeEconomy) بانفجاره المعرفي وثورته الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال ووسائل التّعامل معها ، وبغرض مجاراة الآخر المتطوّر واللّحاق به ومواكبة ما يحصل حولنا من التّطورات العالمية ، لا سبيل أمامنا إلاّ أنْ نولي الأهميّة الكاملة إلى بناء الإنسان الواعي المبدْع القادر على الابْتكار والتّطوير والتّعامل مع المعارف الجديدة والاستفادة منْها لمواجهة تحدّيات المستقبل ومتطلّبات العولمة ، بلْ للإسهام في بناء هذا المستقبل والتّأثير فيه بدلاً منْ أنْ نكون مجرّد متلقّين سلبيين لأحداثه وتحوّلاته .

Il est devenu difficile voire impossible sur l'autisme et pas almbalat ce qui se passe dans le monde de l'évolution rapide de l'époque connue comme l'ère slipstreamed (économie du savoir : KnowledgeEconomy) avec une rafale de wethorthalhaelh cognitive en information et technologie de la communication et des moyens de traiter avec eux, afin de faire face à l'autre et de rattraper et de faire face à ce qui se passe autour de nous de l'évolution mondiale, nous ne pouvons pas fixer mais toute son importance à la construction de l'homme créateur conscient est capable d'innovation et de développement et de traiter et de tirer parti de nouvelles connaissances pour relever les défis de l'avenir Et les exigences de la mondialisation, mais aussi contribuer à construire ce futur et influencer, au lieu d'être simplement passifs de ses événements et ses transitions.

وتقع مسؤولية إعداد هذا الإنسان وإيصاله إلى المستوى الذي يحتاجه المجتمع بالدّرجة الأولى على عاتق المعلّم ، لذا فإنّه منْ غير المعقول أنْ يظلّ المعلّم نمطياً في البيئة العربية يمارس مهنته بالطّريقة التّقليدية المتّكئة على قدرته على تحصيل العلم بهدف توصيله أو نقله إلى عقول المتلقّين ، فرهانات العصر ومتطلّباته التّكنولوجية تفترض أنْ يتحوّل دوره إلى مرشدٍ وموجّهٍ يبيّن للمتعلّم الكيفية التي يتعلّم بها ، ويساعده على أنْ يكون باحثًا نشِطًا عن المعلومات لا متلقياً لها ، وهذا يتطلّب حسن احتواء المتعلّم كي يقوم بمسؤولية تعلُّمه المستمر على أساسٍ من الدّافعية الذّاتية .

إنّ أيّ جهدٍ يستهدف الإصلاح والتّطوير التّربوي ، في ضوء التّغيّر المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات وعولمة النّشاط الإنساني ، لابدّ أنْ يستند إلى تصوّراتٍ واضحةٍ لدور المعلّم ومسؤولياته في التّعليم المستقبلي باعتباره الرّكيزة الأساسيّة الحاسمة في مدى نجاح جهود عملية التّربية في تشكيل اتجاهات الأفراد ونظرتهم إلى الحياة ، بإمداده ــ لمواجهة هذه التحديات ــ بالمهارات اللاّزمة التي أصبحتْ تُعرف اليوم بتكنولوجيا التّعليم لغرض خلق أنماطٍ تعليميةٍ جديدةٍ يسميها البعض بالمستحدثات التّكنولوجية التّعليمية تقود إلى تحسين نوعية التّعليم والوصول به إلى درجة الإتقان.فيصبح المعلم ،والحال هذه ، في عصر تكنولوجيا التّعليم ، ليس ذلك الشّخص المتمكّن من استخدام وسائل تكنولوجيا التّعليم بكفاءةٍ وإتقانٍ فحسب ، بلْ المتوقَّع منه أنْ يكون مصمِّماً قبـــل أنْ يكون مديراً للبيئة التّكنولوجية ككلّ ببرامجها التّعليمية وخُططها ووسائلها والمطوِّر لها أيضا .

في هذا الإطار تقوم مداخلتنا محاولةً الإجابة عنْ إشكاليةٍ عامّة تتحدّد ملامحها وفْق الشّكل التّالي :
ما هي المتطلّبات التّقنية / التّكنولوجية التي تسمح لمعلِّم عصر تكنولوجيا التّعليم الوفاء بالتزاماته التّعليمية التّربوية والمجتمعية ؟
أو ما هو الدّور المنوط بالمعلِّم والمنتظر أنْ يقوم به لتحقيـق الغايات التّعليمية والتّربوية في عصر تكنولوجيا المعلومات ؟
وما هي البرامج والخطط والاستراتيجيات الكفيلة بإعداد المعلِّم الأنسب لهذا العصر ؟

تقديم :

يعيش العالم اليوم تطورات مدهشة ، سريعة ومتلاحقة تكاد لا تتوقف لحظة من الزّمن ، الأمر الذي أربك الإنسان العربي وجعله محتارا أمام هذا الزّخم المعرفي متعدد الألوان، وتائها لا يعرف كيف يتصدى لهذه الثورة الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، وغير مدرك تماما للوسائل التي تخوّل له التعامل معها. ففي كل يوم تطالعنا الدّوائر العالمية ، من هنا وهناك ، بالجديد في مختلف القطاعات ، ودون انقطاع ، وبأقصى سرعة ، وأمام هذا الوضع ، وفي عصر يوصف الآن بعصر(اقتصاد المعرفة : KnowledgeEconomy) لا فكاك لنا ولا خلاص إلا بالبحث عن أنجع الطرق وأحسن الوسائل التي تسمح لنا بمجاراة الآخر المتطوّر واللّحاق به ومواكبة ما يحصل حولنا من التّطورات العالمية ، ولعلّ في إيلاء كامل الأهمية لبناء إنسان عربي واعٍ مبدعٍ قادرٍ على الابْتكار والتّطوير والتّعامـل مع المعارف الجديدة والاستفادة منْها ، خير سبيل لنا لمواجهة تحدّيات المستقبـل ومتطلّبات العولمة ، بل قد يمكننا هذا التّوجّه ، إن أحسنّا تدبيره ، حتّى من الإسهام في بناء هذا المستقبل والتّأثير فيه بدلاً منْ أنْ نكون دائماً مجرّد متلقّين سلبيين لأحداثه وتحوّلاته .

إن مسؤولية بناء هذا الإنسان العربي النموذج وإعداده بالكيفية المناسبة التي تجعله فرداً صالحا يمكن أن ينفع مجتمعه ويقدم له الخدمة التي ينتظرها منه لا شكّ موكولة للمعلِّم وملقاة على عاتقه ، لذلك فإنه من غير المنطقي وغير المعقول أن نحتفظ بتلك النّمطية التي ألفناها على المعلِّم في البيئة العربية وتركه يمارس مهنته بالطّريقة التّقليدية المتّكئة على قدرته في تحصيل العلم بهدف توصيله أو نقله إلى عقول المتلقّين ، فرهانات العصر ومتطلّباته التّكنولوجية تفترض أنْ يتحوّل دوره إلى مرشدٍ وموجّهٍ يبيّن للمتعلّم الكيفية التي يتعلّم بها ، ويساعده على أنْ يكون باحثًا نشِطًا عن المعلومات لا متلقياً لها ، وهذا يتطلّب حسن احتواء المتعلِّم كي يقوم بمسؤولية تعلُّمه المستمر على أساسٍ من الدّافعية الذّاتية .

إن أية محاولة صادقة تقصد الاصلاح التربوي وتطويره ، في ضوء التّغيّر المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات وعولمة النّشاط الإنساني بصقةٍ عامّة ، وجب أن تتكأ على خطّة دقيقة ترسم ، بشكلٍ واضحٍ ، الدَّور الجديد للمعلّم ومسؤولياته الرّاهنة ، كونه الرّكيزة الأساسيّة الحاسمة في مدى نجاح جهود عملية التّربية في تشكيل اتجاهات الأفراد ونظرتهم إلى الحياة ، بإمداده لمواجهة هذه التحديات بالمهارات اللاّزمة التي أصبحتْ تُعرف اليوم بتكنولوجيا التّعليم لغرض خلق أنماطٍ تعليميةٍ جديدةٍ يسميها البعض بالمستحدثات التّكنولوجية التّعليمية تقود إلى تحسين نوعية التّعليم والوصول به إلى درجة الإتقان.فيصبح المعلم ،والحال هذه ، في عصر تكنولوجيا التّعليم ، ليس ذلك الشّخص

المتمكِّن من استخدام وسائل تكنولوجيا التّعليم بكفاءةٍ وإتقانٍ فحسب ، بلْ المتوقَّع منه أنْ يكون مصمِّماً قبل أنْ يكون مديراً للبيئة التّكنولوجية ككلّ ببرامجها التّعليمية وخُططها ووسائلها والمطوِّر لها أيضا .

وقبل الخوض فيبيان الدور المنوط بالمعلم عصر تكنولوجيا التعليم ، يجدر بنا ابتداء الإشارة إلى المراد بتكنولوجيا التعليم وماهيتها ، ثم الوقوف سريعاً عند مهمّة المعلِّم التّقليدية :

تكنولوجيا التّعليم ؛ الماهية والمفهوم :

نعيش اليوم تطورات هائلة وتقدماً علمياً وتكنولوجياً لا يكاد ينحصر في مجال بعينه ، فكل قطاع استفاد من هذا المنجز والمستحدث التكنولوجي بالقدر الذي يدفع به خطوات جريئة إلى الأمام ، ولعلّ الأثر العظيم والفائدة الكبرى هي تلك التي سيجنيها قطاع التعلّم والتّعليم إن أحسن القائمون به عندنا توظيف هذا العنصر التكنولوجي الحديث والهامّ بما يخدم العملية التعليمية في كامل جوانبها . لقد ثبتت، بما لا يدع مجالا للشك والتّردد ، الأهمية القصوى ، عند غيرنا ، وجدوى توظيف تكنولوجيا التعليم والعمل بها في المؤسسات التعليمية . وغير بعيد منّا ، فالمعدات والأجهزة التكنولوجية وفي مقدمتها جهاز الحاسوب وشبكة الإنترنت ، أصبحنا لا نجرأ على الفكاك منها أو مفارقتها للحظة وجيزة لفرط ما تقدّمه لنا من خدمات جليلة تزداد يوما بعد يوم ، فحياتنا أصبحت مرتهنة بها لما تنماز به من سهولة الاستخدام ، وسرعة توفير المعلومات وتذييل طرق الوصول إليها .

لا شك أن العصر هو عصر التكنولوجيا بامتياز ، ولا شك أن استخدام هذه التكنولوجيات في التعليم سوف يعود بالفائدة العظمى على أبنائنا وعلى المجتمع عموما ، ونحن نعلم جيدا أن البيئة المحيطة بالمؤسسة التعليمية والطفل طرف مهمٌّ فيها ، يعيش خارج أسوار المدرسة عالما تكنولوجيا مميزا بوسائله المتنوعة ، المثيرة والجذابة مما يشكل بحقٍّ تحدّيا للأنظمة التعليمية التقليدية المعمول بها .

وأمام هذا الوضع الجديد ليس من سبيل أمام القائمين على التعليم والمسؤولين على التربية غير تبني سياسة تعليمية واضحة تقوم رأساً على استخدام تكنولوجيا التعليم الحديثة ، وجعلها مرتكزا في النظام التعليمي بأكمله ، وعقيدة يؤمن بها الجميع من أجل تحقيق المرامي التعليمية والتربوية بالجودة المطلوبة ، وبأفضل السبل ، ومن أقرب الطرق ، ربحا للوقت ، وتوفيرا للجهد .

إن اعتماد تكنولوجيا التعليم في أنظمتنا التربوية يعني ، بمختصر العبارة ، أننا فسحنا المجال واسعا أمام أنفسنا للولوج إلى مجتمع المعرفة ، وأصبحنا جزءا في قريته الصغيرة ، وهذا بلا شك ستكون نتائجه حاسمة ليس فقط في الجانب التربوي التعليمي ، بل في التنمية الاجتماعية بأكملها من خلال الإعداد الجيد للكفاءات العلمية والتقنية ، و تهيئة الأفراد وجعلهم صالحين وقادرين على المشاركة الفعالة في البناء المجتمعي اعتمادا على مفرزات هذه التكنولوجيات الحديثة التي ما فتئت تفتح أبوابا جديدة للتعليم من مثل (التعليم المفتوح ، والتعليم عن بعد ، والتعليم المستمر) ، كما فسحت المجال أمام الفرد لاكتساب المعرفة بالاعتماد على نشاطه الذاتي.[1]

لكن ، بعد هذا ، ما هي حقيقة المصطلح (تكنولوجيا التعليم) ، وماذا تريد به الأطراف التي وضعته ؟

إذا كان الشّطر الأول من المصطلح (تكنولوجيا) يراد به العلم الذي يعنى بتحسين الأداء والممارسة في أثناء التطبيق العملي كما قال عبد العليم الفرجاني[2] ، أو هي " التّطبيق النظامي للمعرفة العلمية ، أو أية معرفة أخرى لأجل تحقيق مهام علمية " ، كما يقول جالبرت[3]، فإن المصطلح بأكمله قد تنوعت التعريفات التي تحاول الوقــوف على كنهه وتبحث ضبط مدلوله ، ولعلها ، في أغلبها ، اتفقت على الجمع بين جانبيه ؛ النظري والتطبيقي ؛

يعرفها على عبد المنعم(1998)[4]كونها عبارة عن : "طريقة منهجية تقوم على تطبيق المعرفة القائمة على أسس علمية في مجالات المعرفة المختلفة لتخطيط وتصميم وإنتاج وتنفيذ وتقويم وضبط كامل للعملية التعليمية في ضوء أهداف محددة."وينظر إليها جالبرث(Galbraith)على أنها " طريقة في التفكير أو منهج في العمل وأسلوب في حل المشكلات يعتمد على مدخل النظم لتحقيق الأهداف المحددة له ويستند إلى نتائج البحوث في كل الميادين الإنسانية والتطبيقية حتى يحقق الأهداف بأعلى درجة من الكفاءة والاقتصاد في الكلفة. "[5]

بينما يعتبرها هوبان(Hoban) "منظومة متكاملة تضم الإنسان والآلة والأفكار والآراء وأساليب العمل بحيث تعمل جميعاً داخل إطار واحد لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف محددة ."[6]

واعتبرتها رابطة الاتصالات والتكنولوجيا التربوية الأمريكية كلمة مركبة تشمـل عدة عناصر (الإنسان ، والآلات ، والتجهيزات المختلفة ، والأفكار ، والآراء ، وأساليب العمل ، وطرق الإدارة لتحليل المشاكل ، وابتكار والحلول لتلك المشاكل ، التي تدخل في جميع شؤون التعليم الإنساني.)[7]

فالواضح من خلال التعاريف التي سقناها ، أنّ تكنولوجيا التعليم ليس المقصود منها فقط اقتناء المعدات والأجهزة التكنولوجية الحديثة واستعمالها في الغرفة الدراسية توصّلا إلى المعلومة ، وتخزينها ، ثمّ استعادتها فيما بعد ، فهذا لا يمثل إلاّ مكوّنا من منظومة تكنولوجيا التعليم الأوسع والأكبر التي تشمل العملية التعليمية بكامل عناصرها بما تتضمّنه من (عناصر بشرية ، وأجهزة تكنولوجية ، وتصميمٍ للمواد التعليمية ، واستراتيجيات تعليمية ، و أهداف) تسير وفق منهجية و نظام يحدد مراحلها ، وكيفية استخدامها و تقويمها ، ثمّ تطويرها ، معنى ذلك أن هذه العناصر جميعها لا تعمل الواحد منها منفصل عن الآخر ، بل تعمل بشكل منظومي ومتكامل ، فكل عنصر يأخذ رأسا إلى الآخر ، وكلّ عملية تؤثر في إجراءاتها وخياراتها في العمليات الأخرى ، كل ذلك بهدف إعداد فردٍ متعلِّم صالحٍ لمجتمعه ، قادرٍ على القيام بالممارسات الواعية في مختلف نشاطات الحياة ، فردٍ مؤثّر دافعٍ إلى التّغيير مفعّلٍ له ، مساهم في تحريك عجلة التّنمية نحو الأفضل دوماً .

إن التعويل على تكنولوجيا التّعليم ، في عصر تتعاظم فيه الآلة بمختلف أشكالها ، لا شكّ ستكون له اليد الطولى في تحسين كفاءة المتعلّمين من خلال السماح لهم الحصول على المواد التعليمية التي تناسب قدراتهم ومواهبهم، ومن شأنه أن يقدم العون المناسب كذلك للمعلمين على اكتشاف ألوان متنوعة لأساليب التدريس ، ويسهل عليهم عملية التقويم ، والمتابعة ، والتّوجيه ، فضلا عن إسهامه في تيسير عملية تصميم المناهج التعليمية، وتجريبها ، وقياس درجة كفاءتها ، وتطويرها.[8]

وقبل أن ننهي حديثنا حول دلالات مصطلح (تكنولوجيا التّعليم) ، مهمّ أن نشير إلى ما يفرق بينه وبين المصطلح الآخر القريب منه الذي هو (تكنولوجيا التربية) ؛ فإذا كانت اهتمامات الأوّل تنصبّ على وجه الخصوص حول تحسين العملية التّعليمية وتطويرها بمختلف عناصرها ابتداء من العمل على رفع قدرات المعلِّم والمتعلِّم ودفعهما إلى التفاعل مع عملية التعليم ، إلى تطوير المناهج الدراسية ، إلى تحسين الطرق والأساليب والاستراتيجيات تعليمية وغيرها مما ذُكر سابقاً ، فإن عناية المصطلح الثاني تتركز أساساً حول بناء و صناعة إنسان متكامل في كافة الجوانب ، إنسان متعلم واعي فاعل متفاعل مع جماعته ، مؤثّر في الحياة ومغيرها نحو الأفضل ، ما يعني أن مصطلح (تكنولوجيا التربية) أوسع وأعم من مصطلح (تكنولوجيا التعليم) ، بما يرسمه من أهداف تسعى إلى بناء شخصية الانسان المتزن وتكوينها التكوين النفسي الاجتماعي.[9]

المعلِّم بين دوره التّقليدي ومهمّته الجديدة :

أ / المعلم في التعليم التقليدي :

جرت العادة أن ينظر إلى المعلم ، عبر التاريخ ، نظرة إجلال وتقدير للاعتقاد السائد دوما في كونه ليس قائداًتعليمياً فحسب يدفع إلى النهضة التربوية المرجوة ، بل وعامل تغيير يؤدي رأساً إلى نهضة مجتمعه في كافة الجوانب مشاركا فعالا في تحقيقه أهدافه . ولما كان صاحب رسالة مقدّسة ، فالمنتظر منه كبير ، ومسؤولياته جبارة ، فهو مربي الناشئة وملهمها ومعدها لتأدية وظائفها ، إذ يترقّب منه مجتمعه أن يقوم بأدوار غاية في الحساسية ، إلاّ أنّ أدوار المعلِّم اختلفت في التّعليم القديم عمّا هي عليه الآن في التّعليم الحديث وبخاصّة فيما أصبح يسمى بتكنولوجيا التعليم ، ويمكننا أن نجملها في النقاط التّالية :[10]

إن المعلم في إطار التعليم التقليدي ،كان من مهامه الرئيسة ، اعتبارا لكونه محور العملية التعليمية ومرتكزها ، القيام بدور الملقن وناقل معرفة والمصدر الوحيد لها، إذ كان الهدف من التربية تحصيل المعرفة فقط ، فالمعلومة هي الغاية في ذاتها ، وما على المعلِّم حينها إلا أن يعمل على تلقين المتعلِّمين المعارف والمعلومات ونقلها من الكتب المدرسية ، بعد تبسيطها وشرحها ، وصولاً بها إلى عقولهم ، معتمداً ، في ذلك، أسلوب الإلقاء والمحاضرة وأحيانا يسجّل بعضها على السبورة ، فتوصيل المعلومة، بهذه الكيفية في الاتّجاه التّقليدي في التدريس ، يعتمد اعتماداً كلّياً على المعلم ، و يبقى دور المتعلّم محصوراً في الاستماع لهذا المعلِّم وتلقّي المعرفة منه والقبول بكلّ ما يلقه إليه مستعملا حاسة سمعه وحاسة بصره فقط في العملية التعليمية ، والمطلوب منه حينها حفظ هذه المعارف والمعلومات لاستظهارها عند الطلب للتقويم . فالتعليم التقليدي ، على هذا النحو ، مبنيٌ على أساس ثنائية (الملقي ، والمتلقي) ؛ فالملقي صاحب المعلومة ومكتنزها هو المعلِّم ، بينما يمثّل المتعلِّم الطرف الثاني من الثّنائية ، فهو متلقي المعلومة ومستقبلها ، دون وجود أدنى تفاعل بين طرفي العملية التعليمية الأساسيين .

المعارف والمعلومات والمواد التعليمية هو ملزم بتنفيدها في وقت محدد لا يمكن تجاوزه .

المعلّم مطالب بتقويم المتعلّمين كمّياً ، فليست لديه أدوات حديثة للتقويم الشامل لقدرات ومهارات التعلم.

المعلم مطلوب منه أن يؤدي عملا فرديا لا تربطه فيه أية علاقة ببقية زملائه ممن يدرسون معه داخل المؤسسة التعليمية ، فلا تكامل بينهم ، ولا استثمار لجهودهم داخل المدرسة ، ولا عمل تشاركي يلاقي بينهم .

المعلِّم مرتبط، في استجلاب المعلومات قصد نقلها إلى المتعلّمين ، بمصدر وحيد للمعرفة ، هو الكتاب المقرر و الكلمة المكتوبة .

بخصوص تأثير المعلِّم على المتعلم ، فدوره مقصور على الجانب المعرفي فقط ، وليس له أية علاقة بالجوانب الانفعالية والحركية وتنمية المهارات ، فلا يدخل في مهامه تحقيق النمو الشامل المتكامل للمتعلِّم .

ليست له علاقة بتخطيط المنظومة التعليمية داخل المؤسسة التعليمية ، وليس هو معنيا بالمشاركة في تصميمها مناهجها الدراسية من حيث تحديد وتنظيم الأهداف والخبرات والمواقف التعليمية ، واختيار أنسب الوسائط التعليمية لتحقيق هذه الأهداف ، ووضع استراتيجيات يمكن استخدامها في حدود الإمكانات المتاحة له داخل البيئة المدرسية .

ليس من مهامه اتخاذ القرارات التربوية السليمة المتعلقة بأنشطة تطوير نفسه وممارساته المهنية .

ليس من شأنه النظر في الاحتياجات المتنوعة المتعلمين ، وليس من مهامه توقّع ردود الأفعال المتباينة للمتلقين.

ب / مهمّة المعلم الجديدة في عصر تكنولوجيا التّعليم :

إن ضخامة التطور التكنولوجي الحاصل اليوم على مختلف الأصعدة والمرتبط بعولمة النشاط الإنساني بصفة عامة ... دفع إلى تغيير النظرة إلى المعلم ، فمعلم اليوم ليس هو ذات معلم الأمس ، فرهان معلم عصر تكنولوجيا التعليم كبيرة ، إذ يعول عليه المجتمع كثيرا في التنمية ومواجهة التحديات العديدة والمعقدة التي يصعب توقع حجمها وتأثيرها ، فهو من يقع على عاتقه صناعة التغيير واستشراف آفاق المستقبل ببناء الإنسان المرتقب بكامل المواصفات والقدرات والطاقات الإبداعية التي ينتظرها منه المجتمع ، وجعله قادرا على التعامل مع المعارف الجديدة وتوظيفها التوظيف الحسن الذي يفيد المجتمع ويسهم في تطوره وتنميته ، ويتطلب ذلك الاعتناء بالمتعلم منذ تمدرسه الأولي ببناء عقله ، وتوجيه اهتمامه ، وتعميق شعوره بمجتمعه وتوضيح قيمه الثقافية العربية الإسلامية ، هذا فضلا عن العمل على تنمية قدراته المعرفية والنفسية والانفعالية .... لكن ، للاضطلاع بهذه المهمة العويصة ، فالمعلم محتاج ، قبل ذلك ، إلى الإعداد والتّأهيل المناسب الشامل الذي يأخذ في الحسبان بالإضافة إلى الجوانب المادية والامكانات التكنولوجية ، ضرورة الاعتناء بالنّواحي النفسية والثّقافية والاجتماعية لهذا المعلِّم وتهيئة البيئة التعليمية ككل التي يمارس فيها عمله.

وبعد هذا ، وأمام كل هذه المتغيّرات، هل يمكننا تحديد جملة الأدوار التي نتصوّر أن يقوم بها المعلِّم لمواجهة مجموع التّحدّيات التي تنتظر المجتمع في عصر كالذي نعيشه والذي يوصف بعصر تكنولوجيا التعليم ؟

إن مهام المعلِّم وأدواره التي ينبغي أن يضطلع بها في عصر تكنولوجيا التعليم سعيا لبناء إنسان المستقبل في ضوء التحديات الراهنة أصبحت كثيرة ومعقّدة ومتنوعة ؛ فهي مزيج من مهام القائد ، والمدير ، والناقد ، والموجه المرشد ...وغيرها ، يمكننا عرضها بالتّفصيل في النّقاط التّالية :

المعلِّم موجّه ومرشد :[11]

لم يعد المعلِّم ، كما كان في السابق ، مطالباً بحشو ذهن المتعلِّم ونقل المعارف والمعلومات إليه ، فالتّأثير الذي أحدثته تكنولوجيا التعليم ونظمها ، ألقى بثقله على عاتق المعلّم فزادت أعباؤه ، بل أصبح مطلوباً منه قيادة المتعلِّمين وإكسابهم مهارات التّعلم الذاتي بتوجيههم وإرشادهم إلى الطرق والأساليب الصحيحة التي تأخذ بأيديهم إلى المعلومة ، وأحيانا مشاركتهم رحلة تعلمهم واكتشافهم المستمر، فالمتعلمون هو من يقومون بالحث عنها بأنفسهم بدافع منهم ورغبة والوصول إليها في مصادرها المختلفة، مما يجعلهم يتمكنون منها ويتقنونها ويضمنون بقاءها لمدة أطول، وبعد الحصول على المعلومة ، يُنتظر من المعلِّم أن يوجّه تلامذته / طلّابه إلى الكيفيات المثلى لاستثمار هذه المعلومات وتحقيق أقصى استفادة ممكنة منها . وبهذه الكيفية يكون دوره قد تغير ، في النظام الجديد ، من محدث للعملية التعليمية ومنجز لمشاهدها إلى مسهل لها فقط ، ومن منشئ للموقف التعليمي إلى مسيّر له ، ومن ملقِّن للمعارف والمعلومات إلى موجّه ومرشد.

تعميق الشعور بالهوية :

أمام التنامي المطرد في عصرنا هذا لمختلف أوجه الصراع الثقافي الذي يهدد سلوكيات وقيم مجتمعنا العربي المسلم ، أصبح المعلم مطالبًا بالاستيعاب الكامل للثقافة العربية الإسلامية من أجل الوفاء بدوره في تعميق شعور المتعلمين بهوية مجتمعهم والمحافظة على تقاليده ، بالإضافة إلى دوره التّقليدي كوسيط لنقل التّراث الثقافي بمختلف أشكاله وتجلّياته من جيل إلى جيل .[12]

امتلاك مهارة التعامل مع المستحدثات التكنولوجية :[13]

أمام التقدم الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال في عصر يتسم بالمعلوماتية ، ليس بوسع المعلم إلا أن يتقن مهارات التعامل مع هذه المستحدثات التكنولوجية ويتسلح بها و يفهم دورها ورسالتها وكيفية توظيفها في المنظومة التعليمية لمواجهة هذه التحديات ، وهذا لا يتأتى إلا بالتدريب الجاد عليها لاستعمالها في تيسير سبل التعلم من جهة ، ويعلمها طلبته كمهارات حياتية جديدة تجعلهم ينظرون للمعلومات ليس باعتبارها هدفًا في ذاتها وإنما لتوظفيها والاستفادة منها في المواقف الحياتية من جهة أخرى .

إدارة تكنولوجيا التعليم :[14]

في وقت أصبح اعتماد الأساليب التكنولوجية الحديثة في تصميم الخطط والبرامج التعليمية ضرورة تحتمها المرحلة الحالية التي يمر بها التعليم ، يتوقّع من المعلِّم أن يكون ذلك الشّخص المتمكّن من إدارة تكنولوجيا التعليم ، المشارك في إنتاج برامجها التعليمية وتقييمها ، بل المصمم لبيئة التّعليم بأكملها بأدواتها ومواردهامن حيث تحديد الأهداف وتنظيم والخبرات ، ووضع الاستراتيجيات ،واختيار أنسب المعدات لتحقيق هذه الأهداف ، وذلك باستخدام الأجهزة التكنولوجية والتقانة المعلوماتية؛ مثل التكنولوجيا المعتمدة على الصوت (تكنولوجيا السمعيات)مثل : الأشرطة والبث الإذاعي ، الرسوم واللوحات الالكترونية ،الحاسوب و شبكاته، مثل(الحاسوب التعليمي ، مناقشات البريد الالكتروني ، شبكة الانترنت ، ومناقشات الفيديو الرقمي ،والمؤتمرات عن بعد ، وبرامج المحاكاة)، تكنولوجيا الفيديو مثل(التلفزيون

التربوي ، الفيديو المتفاعل ، وأشرطة الفيديو ، وأقراص الفيديو) ، كل ذلك من أجل خلق بيئة تعليمية تفاعلية متعددة المصادر بين المعلم والمتعلم.

تعليم وتنمية مهارات التفكير: [15]

من المهام الرئيسة لمعلم عصر تكنولوجيا التعليم القيام بمسؤولية تعليم التفكير وتنمية مهاراته وأنماطه لدى المتعلمين ، اعتبارا لكون مهارة التفكير هي من أرقى السلوكات العقلية المميزة للإنسان ، ولقد أصبح اليوم تعليم التفكير وتنميته هدفًا رئيسًا من أهداف المؤسسات التربوية ، من خلال برامج خاصة لتنمية مهارات التفكير العليا أو من خلال دروس أو حصص المواد الدراسية المختلفة عندما يعمد المعلم إلى تقديم برامجه الدراسية باحثا عن الخبرات التي تضع المتعلم في مواقف تحتم عليه استخدام مهارات عليا للتفكير .

ومن **أهم برامج تعليم التفكير** :

– برامج التعلم بالاكتشاف:

وهي برامج مهمة لتعليم التفكير من خلال اقتراحها لمجموعة محددة من الأساليب والاستراتيجيات على المتعلمين للتعامل مع مشكلات المجالات المعرفية المختلفة وحلها ، وتتمثّل هذه الاستراتيجيات في التخطيط ، تمثيل المشكلة وإعادة بنائها بالرموز أو الصور أو الرسوم البيانية ، والبرهان على الحلول الصحيحة ، ويمكن التمثيل لهذا النوع من البرامج ببرنامج التفكير المنتج لكوفنجتن وآخرين.

– برامج تعليم التفكير المنهجي:

بني هذا النوع من البرامج على أساس فكر بياجي في مجال التطور المعرفي ، و هي تهدف إلى تزويد المتعلمين بأنواع الخبرات والتدريبات التي تنقلهم من مستوى العمليات المادية إلى مستوى العمليات المجردة التي يبدأ فيها التفكير المنطقي ، وتركز على الاستكشاف والاستدلال والتعرف على العلامات ضمن محتوى المواد الدراسية .

تنمية قدراته وكفاياته المهنية :[16]

من مهام معلم عصر تكنولوجيا التعليم البحث على تنمية مهاراته وقدراته المهنية وتحسين أدائه التدريسي باستمرار، فهو بحاجة دائمة لتطوير معلوماته وتحيينها ، والاطلاع على الجديد في مجال تخصصه من خلال ما يوفره له التعلّم الإلكتروني بمختلف أشكاله وأنواعه من فرص ميسرة وما يضعه بين يديه من مصادر متنوعة وأوجه متعددة للمعلومة عبر برامج تلفزيونية ، أو برامج الكمبيوتر أو مواقع الإنترنت العديدة ، فمن خلالها يمكن للمعلم أن يطلع على الجديد ويظل دائم الاتصال بالمستجدات في مجال تخصصه بأقل تكلفة و في أوجز وقت خصوصا في ظلّ تزايد مهامه وأدواره ، لأن عدم مواكبة المعلم لهذه المستجدات وعدم مسايرته لجديد المعرفة سوف يجعله عاجزا وغير قادر على مواجهة التحديات التي تنتظره ، وفي هذه الحالة تكون المعلومات والخبرات التعليمية التي يقدمها لمتعلميه بالية قديمة وغير متناسبة مع الأهداف المقصودة، وبالتالي سوف يكسبهم مهارات غير قابلة للتطبيق وغير صالحة لمواجهة مشكلات المستقبل.

وفي أحايين كثيرة نقف على بعض العبارات ، صادرة عن بعض الدّوائر التربوية أو التعليمية ، تتبنى هذا المفهوم من مثل (التعلم مدي الحياة للمعلم) أو (التربية المستدامة) وغيرها ، فالمعلم يجب عليه أن يتعلم مدى الحياة في أوقات وأماكن متعددة خارج حدود المدرسة النظامية ، وأن يدرب نفسه باستمرار ، ويعمل على تطوير ممارساته المهنية دوما دونما كلل أو ملل ، فالتعلّم هو عملية مستمرة غير متوقفة أبدا .

معرفة قدرات المتعلمين واحتياجاتهم المتجددة:[17]

من المهارات الرئيسية التي ينبغي أن يتقنها المعلم والتي تلبي طبيعة نموذج التعليم ، اكتشافه لقدرات المتعلِّمين ورعايتها وتنميتها ، فضلاً عن ضرورة معرفته بالاحتياجات الإنسانية المتجددة للمتعلّمين، وبحث سبل إشباعها ، ما قد يمنحهم الاستقرار العاطفي والنمو العقلي.

اكتساب المتعلم مهارة التّواصل :[18]

من الأدوار الرئيسة لمعلم العصر العمل على إكساب المتعلِّم فنّ ومهارة التواصل الناجح مع الآخرين داخل مجتمعه وسبل التعايش معهم في سلام ، وتعزيز القدرة على الحوار الإيجابي والنقاش الهادف معهم ،من خلال فهم ذاته أولا وفهم الآخر ، وتقبّل اختلافه وآرائه ، وإدراك أوجه التكافل معه ، وحلّ الخلافات والنزاعات وتسويتها معه في هدوء.

إدارة عمليات التقويم :[19]

من أجل ضمان جودة العملية التعليمية ونواتجها ، المعلِّم مطالب أن يحسن إدارة عمليات التقويم التي لا يجب أن تختزل في إعداد أسئلة اختبارات نهاية كلّ فصل وتصحيحها واعتماد نتائجها كوسيلة وحيدة لتقويم التحصيل ، بل يجب أن يكون التّقويم مستمرّاً لا مرحليا بحيثً ينسحب على كامل فترة التكوين بالنّظر إلى ما توصّل إليه المتعلمون من معارف وما حققوه من مهارات ، ذلك أن الهدف من التعليم هو إكساب المتعلِّمين المعلومات والعلوم والمهارات المحددة في المناهج التربوية والخطط الدراسية والبرامج التعليمية المختلفة ، فالعبرة ليست في التركيز على النواتج التعليمية ، بل في التحول إلى ثقافة الاتقان وزيادةثقة المتعلّم بنفسه، ومن ثمّة فإنّ حسن إدارة التّقويم والتغذية الراجعة شرط رئيس لتحقيق الجودة في التّعليم .

التنويع في أساليب التعلم :[20]

معلم عصر تكنولوجيا التّعليم مدعوٌ للتنويع في أساليب التَّعلُّم وتوفير طرقٍ مختلفة وأدواتعديدةبما يتماشى والحاجات المتنوعة للمتعلمين واختلاف ميولهم واستعداداتهم واتجاهاتهم وتباين قدراتهم العقلية ومكوناتهم الثقافية ، ويراعي الفروق الفردية بينهم، والمعلم هنا محتاج إلى استخدام أسلوب الاتصال متعدد الاتجاهات والعمل بنظرية الذّكاءات المتعددةمع تدعيم ذلك دائما بالعودة إلى الحياة اليومية لاستقاء أمثلة تطبيقية تربط ما يتعلمونه بحياتهم العملية مما يتيح لهم تعلّما جيّدا مناسبا للجميع.

المبادرة وروح الابتكار :[21]

من الأساسيات التربوية في تكنولوجيا التعليم أن يمتلك المعلِّم روح المبادرة والنزعة المتجدّدة إلى الخلق والابتكار واكتشاف الجديد ، بهذه الكيفية يقدم من نفسه نموذجا وقدوة لزملائه في العمل عن المعلم الذي يثق في نفسه فيهيئ

البيئة التعليمية المناسبة لتلامذته / طلابه بكل حرية واختيار ، ويمتلك القدرة على تحديد المشكلات التربوية والاسهام في اقتراح وصياغة الحلول الممكنة لها عن دراية ووعي .

الروح الجماعية والعمل التشاركي :[22]

ينتظر من معلِّم العصر ألاّ يكون فردا منعزلا يؤدي عملا فرديا في معزلٍ تامٍّ عن بقية زملائه في المؤسسة التربوية ، بل يجب أن يتمتّع بروح المشاركة ومبدأ العمل الجماعي الذي تتبادل فيه الخبرات ، وتتلاقح الأفكار ، وتتكامل الرؤى ، في استثمار حقيقي لجهودهم داخل المؤسسة ينعكس إيجاباً ، دون شك وإلى أبعد الحدود ، على المتعلِّمين .

التفتح وقبول الحوار :[23]

من الركائز المهمّة المرتبطة بمعلِّم عصر تكنولوجيا التعليم والتي من شأنها أن تسهم في إنجاح العملية التعليمية وتدفع بها خطوات جريئة إلى الأمام ، أن يكون متفتِّحا قابلا للحوار الإيجابي النافع الذي يتبادل فيه الأفكار مع من يعلِّمهم في تفاعل متبادل قوامه الأخذ والعطاء ، وتصحيح الأفكار الشاردة بروية وحسن تدبير ، ما يجعل هذا النشاط يتحول إلى بيئة تعلم تمتاز بالديناميكية وسيلة ليس فقط لنقل المعرفة ، بل ولتنمية القدرات وتفجير الطاقات وإطلاق العنان لقوى التفكير والخيال والإبداع لممارسة نشاطها أيضا ، وقد يمتدّ فيسري تأثيره على شخصية الفرد بأكملها فيؤدي إلى تهذيب أخلاقها وتعديل عاداتها وسلوكاتها .

وفي هذا الإطار ورد تقرير لإدارة التربية الأمريكية بعنوان (What Works) (دانيلسون ، 2001) ما نصه:

"يستفيد الطلاب تعليمياً عندما يتشاطر معلموهم الأفكار معهم، ويتعاونون في تنفيذ الأنشطة، ويسهم كل منهم في النمو العقلي للآخر.. فالتدريس الجيد ينشط وينجح عندما يتعاون المعلمون مع الطلاب ."

إدارة مواقف التعلم :[24]

من التحديات التي لا يجب أن يقفز عليها معلّم عصر تكنولوجيا التعليم وتحتاج مزيدا من عنايته واهتمامه ، أن يكون على وعي تامّ ودراية واسعة بمواقف التّعلُّم النشط وبالكيفيات المريحة التي تسهل على المتعلّم بناء معرفته بنفسه ، مع تمام إدراكه ومعرفته بكيفيات وصل المتعلم وربط معرفته الجديدة بالسابقة مما يؤدي إلى إعادة تشكيل بنيته المعرفية ككلّ .

وعلى سبيل الختم نقول أنّ العصر الذي نعيشه هو عصر التحديات العظمى ، والمسؤولية فيه كبيرة ، وجزؤها الأكبر ملقى على عاتق المعلِّم الذي وجب عليه أن يدرك موقعه الجديد ويعلم بأهمية دوره لإعداد النماذج العربية المستقبلية التي ينتظرها مجتمعه والقادرة على التعامل وحسن التّصرف مع المفرزات الجديدة والاستفادة منها لمواجهة تحدّيات عصر وصف بالعولمة والانفتاح ، والويل فيه كل الويل لمن تخلف ولم يركب قطاره فسيجرفه السّيل عميقاً إلى الحضيض .

إن رهانات هذا العصر ومتطلّباته التّكنولوجية التي تحول الاهتمام فيها من التعليم إلى التعلُّم تفترض على المعلِّم أن يتحوَّل كليّاً من دوره التقليدي ومسؤولياته المعهودة إلى أداء أدوارٍ جديدةٍ تنتظره ، حيث لم يعد المصدر الوحيد

للمعرفة ، ولم تظلّ مهمّته مقصورة دائماً على التّلقين وكفى ، بل أصبح مرشداً يأخذ بأيدي المتعلمين مبيّنا لهم الكيفيات التي يتعلمون بها ، ويساعدهم على أنْ يكونوا باحثين نشِطين عن المعلومات لا متلقين سلبيين لها ، ويوجههم إلى مصادر التعلم وأوعية المعرفة المتنوعة ؛ المكتوبة والمقروءة ، والمسموعة والمرئية ، والمحوسَبة والتفاعلية والشبكية ، فلا يقصرون اعتمادهم على الكلمة المكتوبة كمصدر وحيد للمعرفة . إلاّ أن القيام بهذا الدور المحوري وفي سبيل تأديته بالشكل المناسب ، يتطلّب الحال من المعلِّم أن يمتلك مجموعة من المهارات المكمّلة لعل أهمها (حسن إدارة مواقف التعلم ، التفتح وقبول الحوار ، الروح الجماعية والعمل التشاركي ، المبادرة وروح الابتكار ، التنويع في أساليب التعلم ، حسن إدارة عمليات التقويم ، معرفة قدرات المتعلمين واحتياجاتهم المتجددة ، تنمية قدراته وكفاياته المهنية ، امتلاك مهارة التعامل مع المستحدثات التكنولوجية ، حسن إدارة تكنولوجيا التعليم ... وغيرها .)

الهوامش :

(1)ينظر : أحمد عوضه الزهراني ، يحيي عبدالحميد إبراهيم ؛معلم القرن الحادي والعشرين ،مجلة المعرفة :
http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=400&Model=M&SubModel=138&ID=1682&ShowAll=On

(2)ينظر :الفرجاني ، عبد العظيم عبدالسلام ؛ تكنولوجيا تطوير التعليم ، دار المعارف، القاهرة ، 1993 ،ص : 20 .

(3)جلبرت(1976)Galbraith:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AE%D8%AF%D9%85:Mostafa_samer25

(4)علي محمد عبد المنعم ؛ تكنولوجيا التعليم و الوسائل التعليمية ، دار النعناعي ، القاهرة ،1998 .

(5)محمد بن سليمان المشيقح ؛ مدخل إلى منظومة تكنولوجيا التعليم،.faculty.ksu.edu.sawww.

(6)السّابق .

(7)ينظر : خالد نزيه ؛ الجودة في الإدارة التربوية والمدرسية والإشراف التربوي ، دار أسامة ، المشرق العربي ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2005 ، ص : 78- 79 .

(8)ينظر :علي أحمد مذكور ؛مناهج التربية وخيارات المستقبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ص : 345-348.

(9)ينظر :بشيرعبدالرحيم الكلوب ؛التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1993 ، ص : 31-38.

(10)ينظر : السيد علي شتا ؛ المدرِّس في مجتمع المستقبل، الإشعاع الفني ، القاهرة ، 1999 ، ص : 32 ، 37 ، وينظر كذلك :عبد القادر الفنتوخ ، وعبد العزيز السلطان ، الإنترنت في التعليم ؛ مشروع المدرسة الإلكترونية ، مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد 71 ، سنة 1999 ، ص : 79 ، وينظر : سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، تفريد التعليم في إعداد وتأهيل المعلم ؛ أنموذج في القياس والتقويم التربوي، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2004 ، ط1 ، وينظر :

Calhoun, E. (1993).The Self-renewing school.ASCD. Glickman, C. & .Joyce, B., Wolf, J

(11)ينظر : عبد الباقي محمد أحمد ، المعلم والوسائل التعليمية ،المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 2005 ، ص : 15-17 ، وينظر كذلك : زينب محمد أمين ، إشكاليات حول تكنولوجيا التعليم ، دار الهدى للنشر ، المنيا ، مصر ، ط1 ، 2000 ، ص : 90-92 .

(12)ينظر : السيد علي شتا (1999) ، ص : 32 .

(13)ينظر : أحمد, عبد الباقي محمد (2005) ، ص : 15-17 .

(14)ينظر :جمال محمد الشاطر ، ، أساسيات التربية والتعليم الفعال ، دار أسامة ، عمان ، الأردن ، 2005 ، ص : 157-168 .

(15)حسن حسين زيتون ؛ تعليم التفكير رؤية تطبيقية في تنمية العقول المفكرة ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط 1 ، 2003 ، وينظر : محمد بكر نوفل ؛ تطبيقات عملية في تنمية التفكير باستخدام عادات العقل ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ، 2008 ، ص : 21 ، وينظر كذلك : سعيد حُسني العزة ، تربية الموهوبين والمتفوقين ، دار الثقافة والدار الدولية ، عمان ، ط1 ، 2000 ، ص : 235 ، وينظر : أحمد عوضه الزهراني – يحيي عبدالحميد إبراهيم ، مجلة المعرفة :

http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=400&Model=M&SubModel=138&ID=1682&ShowAll=On

(16)وينظر : علي الخبتي ؛ التعلم مدي الحياة للمعلمين ، مجلة المعرفة ، العدد 141 ، 2003 ، وينظر : صالح بن عبد العزيز النصار، مدرسة المستقبل ؛ رؤية من نافذة أخرى ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، 1423 هـ ، ص : 10 ،محمد عبد العاطي حسن الباتع ، التعليم العربي بين استشراف المستقبل وطلب الجودة والاعتماد :

http://uqu.edu.sa/page/ar/5438

(17)ينظر : صالح بن عبد العزيز النصار (1423) ، ص : 10 .

(18)ينظر : أحمد عوضه الزهراني ، وَيحيي عبدالحميد إبراهيم ،مجلة المعرفة :

http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=400&Model=M&SubModel=138&ID=1682&ShowAll=On

(19)ينظر : عبد العزيز الحر، مدرسة المستقبل ، مكتب التربية العربية لدول الخليج ، الرياض ، 2001 ، ص : 110. وينظر كذلك : زينب محمد أمين ، إشكاليات حول تكنولوجيا التعليم ، دار الهدى للنشر ، المنيا ، مصر ، ط1 ، 2000 ، ص : 92-93 .

(20)ينظر : إبراهيم الفار ؛ تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998 ، ص : 181 ، وينظر كذلك : ماجدة صالح ، الحاسب الآلي التعليمي وتربية الطفل ، المكتب العلمي للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 2000 ، ص : 54 .

(21)ينظر : محمد مكسي : ديداكتيك الكفايات ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط1 ، 2003 ، ص :98 .

(22) Calhoun, E. (1993). The Self-renewing school.(p. 27) ASCD. & .See: Joyce, B., Wolf, J, Glickman, C.

(23)ينظر : إطار نظري مقترح لبناء نسق تعليمي يقوم على الشراكة بين الطّالب والمعلم داخل الصفّ الدّراسي ، عبد العزيز محمد الحر وَ أحمد عمر الروبي ، مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد 97 .

(24) ينظر : أحمد عوضه الزهراني – يحيي عبدالحميد إبراهيم ،مجلة المعرفة :

http://almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=400&Model=M&SubModel=138&ID=1682&ShowAll=On